قراءة في كتاب

"مستقبل العلاقات الدولية: من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة وثقافة السلام"

لمؤلفه محمد سعدي

محمد سعدي

مستقبل العلاقات الدولية: من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة وثقافة السلام

ط ٢. (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٨). ٤١٤ ص. (سلسلة أطروحات الدكتوراه؛ ٥٨)

محمد الناصري(*)

باحث في الفكر الإسلامي وحوار الأديان والحضارات ـ المغرب.

ـ ١ ـ

إن الدراسات النظرية في عالم الغرب والعالم الآخر ليست ترفاً، كما أنها ليست عملاً مجرداً منفصلاً عن الواقع، ولكن دائماً كان التنظير، وكانت الأفكار، التي تقدم ضمن الدوائر البحثية والأكاديمية والفكرية الغربية، متصلة من قريب أو من بعيد بمجال الحركة، إذ أصبح كلّ شيء خاضعاً للدراسة والتحليل. ولعل المختبرات التي تخضع لها القضايا الفكرية والثقافية، وجميع الدراسات الإنسانية اليوم، توازي المختبرات التي تخضع لها العلوم التجريبية، إن لم تكن أكثر دقة واهتماماً، حيث لم يعُد مجال للكسالى والنيام، والمتخاذلين والأغبياء... ففي القارة الأمريكية وحدها هناك حوالى عشرة آلاف مركز للبحوث والدراسات ـ القسم الكبير منها متخصّص بشؤون العالم الإسلامي ـ ووظيفة هذه المراكز تتبّع ورصد كل ما يجري في العالم، ومن ثم دراسته وتحليله، مقارناً بأصوله التراثية التاريخية، ومنابعه العقائدية، ثم مناقشة ذلك مع صانعي القرار لتبنى على أساسه الخطط، وتوضع الاستراتيجيات الثقافية والسياسية، وتحدد وسائل التنفيذ.

ومن أبرز الأفكار التي خرجت من رحم تلك المراكز، نظرية هانتنغتون عن صدام الحضارات التي بدأت محاضرة في معهد الاقتصاد الأمريكي في ١٨ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٩٢، بعنوان «صدام الحضارات»، ثم تحولت إلى مقال نشرته فصلية **فورين أفيرز** في عام ١٩٩٣ تحت العنوان نفسه. ثم كان الكتاب بالإنكليزية الذي حمل عنوان **صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي** عام ١٩٩٦[١].

(*) البريد الإلكتروني: mohammedennassiri@gmail.com.

(١) انظر ترجمته أيضاً: صموئيل هنتغنتون، **صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي**، ترجمة وتحقيق مالك عبيد أبو شهيوة ومحمود محمد خلف (طرابلس: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ١٩٩٩).

لقد كان لأطروحة «صدام الحضارات» صدى قوي، حيث فتحت منذ نشرها صيف عام ١٩٩٣ سجالات ثقافية وسياسية واستراتيجية حادة في أنحاء كثيرة من العالم، وأثارت ردوداً متباينة تراوحت بين التأييد والتحفظ والرفض، حيث أورد محرر مجلة **الشؤون الخارجية** أن مقالة هانتنغتون قد حرّكت نقاشات تفوق ما أثاره أي مقال نُشر منذ عام ١٩٤٠ حتى عام ١٩٩٣.

ترى، لماذا كل هذا الاهتمام بأطروحة «صدام الحضارات»؟، ما مضمونها ومرتكزاتها؟، وما هي البراهين التي تعتمد عليها لتدعيم أسسها النظرية؟ وما موقع التكتّلات الحضارية داخل هذا الصدام الحضاري؟ وما تأثير ذلك في طبيعة وصيرورة العلاقات الدولية؟

ما هي خلفيات الأطروحة وأبعادها على المستوى الفكري والفلسفي؟ أي ما هي حمولاتها الفلسفية وطبيعة نظرتها إلى العالم، باعتبارها تجسيداً حيّاً للأفق الاستراتيجي الذي ولّدته نهاية الحرب الباردة، وما هي الأهداف الاستراتيجية الموجّهة لها؟ وما هو تأثيرها في الآفاق التنظيرية للعلاقات الدولية، وفي المنطقة العربية والإسلامية على الخصوص؟

هناك أسئلة، وأخرى نظيره لها، مثلت الخلفيات العلمية والمبرّرات الواقعية التي تنهض عليها فصول كتاب: مستقبل العلاقات الدولية: **من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة وثقافة السلام** لمحمد سعدي. والكتاب ذو الأقسام الثلاثة يضمّ في شكله العام مدخلاً، ومقدمة، وثمانية فصول وخاتمة.

ـ ٢ ـ

أشار سعدي في **مدخل** كتابه إلى الصدى المدوّي والاهتمام الواسع الذي لقيته الأطروحة منذ صدورها، والجدالات التي أثارتها وما زالت تثيرها، كما أشار إلى أن هذه الأطروحة أصبحت تشكّل اتجاهاً جديداً في الفكر الاستراتيجي الغربي، ومن ثم ضرورة الاطلاع عليها وإبداء الرأي فيها.

وخصّص المؤلف **المقدمة** للحديث عن بعض البراديغمات الموجّهة للعلاقات الدولية بعد الحرب الباردة، وقد حصرها في ثلاثة: براديغم «نهاية التاريخ»، وبراديغم «الفوضى»، وبراديغم «نحن والآخرون». ويبقى ـ في نظر المؤلف ـ أن مجموع البراديغمات التي تحاول منح المعنى للعلاقات الدولية، هي بشكل من الأشكال تعبير وتجسيد للاضطراب الذي يعيشه منظّرو العلاقات الدولية على مستوى آلياتهم التحليلية للواقع الاجتماعي والدولي المعاصر.

وقد عالج المؤلف في **الفصل الأول** أطروحة «صدام الحضارات» والظروف العامة لانبثاقها. فللتمكّن من معرفة أبعاد الأطروحة ومعانيها في الوقت الراهن، وإدراك محركاتها وخلفياتها، يجب التوقف عند الظرفية العامة لانبثاق الأطروحة، التي حدد أهم سماتها في: نهاية الحرب الباردة، وتحول طبيعة ومصادر الصراع في العلاقات الدولية، وعودة الأديان، وتصاعد الإسلاموفوبيا في الغرب.

كما استهل المؤلف **الفصل الثاني** بقول لصاموئيل هانتنغتون مفاده: «الفرض الذي أقدمه هو أن المصدر الأساسي للنزاعات في هذا العالم الجديد لن يكون

مصدراً أيديولوجياً أو اقتصادياً في المحل الأول. فالانقسامات الكبرى بين البشر ستكون ثقافية، والمصدر المسيطر على النزاع سيكون مصدراً ثقافياً. وستظل الدول/الأمم هي أقوى اللاعبين في الشؤون الدولية، لكن النزاعات الأساسية في السياسات العالمية ستحدث بين أمم ومجموعات لها حضارات مختلفة، وسيسيطر الصدام بين الحضارات على السياسات الدولية، ذلك أن الخطوط الفاصلة بين الحضارات ستكون هي خطوط المعارك في المستقبل». وعلى هذا، فإن القول الذي اعتبره سعدي المضمون الإجمالي لأطروحة صدام الحضارات، يتمثّل بتبنّيها الصريح لفكرة اعتبار الحضارة العامل الجديد الذي سيتحكّم في صيرورة العلاقات الدولية، وبالتالي فالانقسامات الكبرى في العالم ستكون انقسامات ثقافية تتصادم في إطارها مجموعة من الكتل الحضارية المتنافسة.

وحاول المؤلف في **الفصل الثالث** كشف الخلفيات المحرّكة للأطروحة، مشيراً إلى أن القول بـ «صدام الحضارات» يستند في عمقه إلى خلفيات فلسفية وفكرية واستراتيجية تعكس الأهداف والخيارات والحقائق التي توجّه المنطق العام للأطروحة، مؤكداً أنها متأثرة بالمنهجية العلمية الكونية، نسبة إلى مؤرخ العلوم الأمريكي توماس كون الذي اهتم بسوسيولوجيا العلوم والاكتشافات العلمية. وهي على مستوى رؤيتها للعالم متأثرة بنفحة فلسفية تاريخية شبينغلرية، نسبة إلى أزفالد شبينغلر، الفيلسوف والمؤرخ الألماني المهتم بدراسة تاريخ الحضارات الإنسانية والمتأثر بأفكار نيتشه. وعلى مستوى منطلقاتها الفكرية وشبكاتها المفاهيمية الإيبيستيمية تسيطر عليها نزعة ثقافوية ونزعة نيوداروينية وواقعية.

ويذهب سعدي في كشفه عن الخلفيات الاستراتيجية إلى اعتبار أطروحة «صدام الحضارات»، في عمقها وتصورها للعالم، تنظيراً استراتيجياً بامتياز، فهي تحمل وتعكس مجموعة من الثوابت والمتغيّرات في التفكير الاستراتيجي الأمريكي بصفة خاصة، والغربي بصفة عامة، وهي تستشرف الخيارات والأولويات الاستراتيجية للولايات المتحدة في فترة ما بعد الحرب الباردة. ولأن أطروحة «صدام الحضارات» اشتملت على العديد من المغالطات والتناقضات، سواء على مستوى نسقها المنهجي المفاهيمي، أو على مستوى واقعيتها، أي مدى صدقيتها مع حقائق الواقع، فإنها تحرّض على التصدّي النقدي لها للكشف عن محدوديتها وقصورها، وللتمكّن من تشكيل رؤية نقدية بخصوص منطلقاتها ونتائجها العامة.

هذا ما تطرّق إليه المؤلف في **الفصل الرابع** المعنون: «حدود أطروحة صدام الحضارات». فبخصوص القصور المنهجي والمفاهيمي للأطروحة، يشير سعدي إلى أنها أثارت على مستوى توجّهاتها المنهجية والمفاهيمية الكثير من الاضطراب والغموض، ما ساهم في عدم وضوح الرؤية التحليلية لهانتنغتون، وأثار الكثير من اللبس حول المنهجية المتّبعة والمرتكزات النظرية والمفاهيمية الموجّهة للأطروحة. وهذا ما يجعل هذه الأطروحة مثيرة، ولكن فقيرة فلسفياً وتنظيرياً، لكونها تركّز على منهج اختزالي قائم على نمط ونموذج من

التحليل لا يوافق ولا يلائم تعقّد وتشابك وعمق الموضوع المعالج.

وفي **الفصل الخامس** المعنون: «العولمة والديناميات الدولية الجديدة»، أشار سعدي إلى العلاقة بين أطروحة هانتنغتون والموقع الهيمني للولايات المتحدة عسكرياً، واقتصادياً، وثقافياً، مؤكداً أن الصراع بين العولمة والمحلية هو العصب المتحكّم في منطق الأطروحة.

ـ ٣ ـ

لقد عمّق مسار العولمة إلى حدٍ كبير الاختلالات الاجتماعية والفوارق الاقتصادية بين أولئك الذين يستفيدون من مكاسب العولمة، وأولئك الذين يوجدون على هامشها أو خارجها، وهذا الوضع ـ في نظر سعدي ـ يستدعي من الباحثين التفكير في أفضل الاستراتيجيات لترويض العولمة، وإرساء ضوابط للحدّ من مساوئها وآثارها السلبية، عبر تفعيل أخلاقيات التضامن والمسؤولية الجماعية لخلق عولمة أكثر إنسانية وعدالة، ذلك أن الحضارات أصبحت في الوضع الراهن فضاءات متفاعلة ومنفتحة على أزمنة وعوالم ومرجعيات متعدّدة، وخاصة أنه لا توجد اليوم ثقافات شريرة بطبيعتها، كما لا توجد صراعات دولية تستوجب اتخاذ مواقف استعدائية من كتلة من الدول أو كتلة من البشر أو حضارة من الحضارات.

ويعترف سعدي من خلال بحثه بضرورة خلق روح تواصلية بين مختلف المجالات المعرفية قصد التوصل إلى فهم أعمق وأشمل للسياسات الدولية. ولذلك ينبغي فتح نقاشات جماعية، والقيام بدراسات معمّقة، لإرساء بيداغوجية جديدة لمقاربة العلاقات الدولية، عن طريق إدماج معطيات فلسفية أكثر شمولية في دراسة هذه العلاقات.

داعياً في الوقت نفسه إلى منح مزيد من الإمكانيات للباحثين، قصد محاولة إدراك مختلف التفاعلات المعقّدة على المستوى العالمي، وفهم حركية واستراتيجيات الديناميات الدولية الجديدة، حاول مؤلف الكتاب، في **الفصول اللاحقة**، الإجابة عن سؤال: الغرب بعد ١١ أيلول/ سبتمبر: صدام الحضارات أم صدام الحضارة الإنسانية؟ ولهذا توقف أمام مجموعة من المبادئ والمفاهيم المرتبطة بالسياسة، والثقافة، والدين، وحقوق الإنسان، والعدالة، والعقلانية، والتطرف، ودور الدولة في الحياة العامة، ودور المؤسسات الدولية في التنظيم الدولي. وشدّد على ضرورة فتح نقاش جدّي حول موقع الأديان في مختلف السياسات الاجتماعية والدولية، والأخذ في الحسبان مطالبها وإشراكها في المجال السياسي عبر الإنصات إلى انتقاداتها ومقترحاتها.

ـ ٤ ـ

في **خاتمة** الكتاب (الأولى)، اقترح سعدي مجموعة من الأفكار التي يجب على المجتمع الإنساني تبنّيها؛ من ذلك دعوته إلى تشجيع ثقافة المشاركة، قصد تدعيم قيم التضامن والإخاء والتسامح. فمن شأن ذلك أن يجنّب الأجيال المقبلة الكثير من المآسي والحروب والعنف، وأن يرسي قيم السلام والتعاون داخل مختلف المجتمعات. ولهذا طالب المجتمع بإعادة قراءة تاريخ وذاكرة مختلف الشعوب قراءة نقدية متفتحة ومتيقّظة، لاجتناب الوقوع في أخطاء الماضي،

وإعادة الاعتبار للتواريخ المهمّشة، وإنهاء جراح الماضي والأحقاد المتجذّرة، وتحقيق التصالح مع التاريخ بين مختلف الشعوب.

أما في ما يخصّ الإسلام، فرأى المؤلف أن رسالته ومبادئه لا يمكن أن تدعو إلى الصدام والصراع مع الحضارات والديانات الأخرى، والإسلام الحقيقي هو إسلام المحبة والسلام والإخاء واحترام الآخر ونبذ العنف والتطرّف، والدفاع عن القيم النبيلة، واحترام حقوق الإنسان، وتحقيق العدالة، والقضاء على الفقر، والانفتاح على كلّ الحضارات الإنسانية. كما خلص سعدي إلى أن الإسهام الإسلامي في أدبيات العلاقات الدولية ظلّ حبيس الأفق حيناً، والجهل أحياناً، والتضليل والتلبيس أحياناً ثالثة، الأمر الذي يصبح معه توضيح الرؤية الإسلامية في مجال العلاقات الدولية ضرورة لأمتنا التي لا تزال موضع هجوم وابتزاز يستهدف ثقافتها. فهل من منظور إسلامي في تحليل العلاقات الدولية؟ □

صدر حديثاً

استراتيجيات التنمية الزراعية
التجربة السعودية

دور الزراعة في تدعيم الأمن الغذائي، التخفيف من الفقر ودعم النمو الاقتصادي

د. تركي فيصل الرشيد

يحاول هذا الكتاب الإجابة عن سؤال محوري، هو: كيف يمكن أن تحقّق استراتيجيات التنمية الزراعية تعزيز الأمن الغذائي، وتخفيف الفقر، وترويج النمو الاقتصادي في العربية السعودية. وفق هذا جاء القصد الكلي في سياق محاولة تحديد دور الزراعة في تحقيق التنمية المستدامة.

وفي سبيل تحقيق ذلك استثمر المؤلِّف: تحليل سياسات الحكومة السعودية الخاصة باستراتيجيات التنمية الزراعية؛ تقويم آثار حجم وتنوّع استراتيجيات التنمية الزراعية في مختلف أقاليم العربية السعودية؛ تقصّي طبيعة التصرّفات والآراء حول مفهوم المسؤولية المؤسسية الاجتماعية؛ تحديد دور تضامن أصحاب المصلحة الأساسيين في تحقيق إستراتيجية التنمية الزراعية المستدامة؛ بلورة الإطار الفكري الذي يبيّن الصلة بين استراتيجيات التنمية الزراعية والتنمية الاقتصادية المستدامة في العربية السعودية.

لذا، يتوقع من هذا الكتاب أن يقدّم المعرفة التي تبيّن الطرائق الفاعلة في بناء السياسات والاستراتيجيات الزراعية، واقتراح أكثرها فاعلية مستقبلاً

٢٨٦ صفحة
الثمن: ١٣ دولاراً
أو ما يعادلها

الموقع الرسمي للأستاذ
الدكتور محمد الناصري

mohammedennassiri.ma | mohammedennassiri@gmail.com

للتواصل